

أضع بين يديكم قصيدة فريدة للشاعر السوري  
الدكتور محمد نجيب المراد  
الذي نال لقب شاعر العرب في المسابقة الشعرية التي تنظمها قناة المستقلة  
القصيدة كتبت في رثاء والدته المتوفاة رحمها الله تعالى

فلقد منعت أمه من الخروج من بلدها حماة إلى ابنها المهاجر خارج القطر  
واستمر الفراق 25 عاماً وهي الأمن الحنونة وهو الابن البار فثارت ثورة  
الشاعر في نفسه ورثى أمه بهذه القصيدة التي تقطر دما ودمعا تحت عنوان  
الفاتحة  
فقال:

إلى أمي رحمها الله  
ياسيدة نساء أهل الأرض جعلك الله في صحبة سيدة نساء أهل الجنة  
وجعلني خادماً لكما.

كيف كان اللقا ، وكيف السلام  
أخبريني ، وأطنبي يا ختام

مر عامان يا حبيبة عمري  
وحياتي والله ... موت زؤام

مر عامان والمصائب تتري  
حبس المد ، وانتهى الإكرام!

ليت أني لما ارتحلت لك النعش.....  
وأنني لما دفنت المقام.

صمت الكون كله في اضطراب  
وعلا طلعة الصباح الظلام

عندما قيل "يا أيتم" انتهينا  
ذهبت ، من لأجلها لا تضام

فتحت بعدك الجحيم فنار  
من هنا ومن هناك ضرام

وبقوس كل البلاء رماني  
ففؤادي قد مزقته السهام

من عظامي قبضت ذات غروب  
كيف تحيا من غير روح عظام

ساجاً كنت فاعتراني ارتعاش  
فصلت بعده العرى والذمام

قبل كل الأنام أدركت أنني  
لم يعد لي على الغروب "أنام"

عندما جاءني النذير صباحاً  
قلت ألق القميص جاء الحمام

ذهبت الكنز والشباب وعزي  
وفقدت اللوا وضاع الزمام

أه يا أم كم تمنيت لك  
لم يعد لي على الردى أحلام  
لم يعد لي في آخر الليل مأوى  
لا شراب مطهر أو طعام

أو فراش مطرز من حنان  
دفع كفيك فوقه والوئام

أو غطاء من غزل عينيك يحنو  
فوق أوجاعي التي لا تنام

أرتجت دوني السعادات حتى  
لم يعد لي على الشقاء ابتسام

واصفتني الدموع خلا وفيأ  
ليت شعري أهكذا الأيتام

كم تمنيت أن أعيش حياتي  
تحت رجليك إنما الأيتام

بلغتني من المور شؤوناً  
أسكرتني ، كم تسكر الأوهام

يلهث الابن للسعادة يأم.....  
ودرم السعادة الأقدام

قصر الحظ عن بلوغ مرام  
دعوة الم في ثناها المرام  
يمكث المرء بالتجارب دهرأ  
وكفاه من أمه الإلهام

كل مجد أتى بدون يديها  
محض نقص وإن يقال التمام

أنا يا أم كيف أندب ما بي  
من عذاب وتشهد الألام

أن حولي طوافها من سنين  
باتتاد ، وزيتها الإحرام

أنا يا أم كتلة من خلايا  
جمعت بينها الهموم الجسام

كتب النبي ربع قرن علينا  
فحجبنا وإستأسد الأقدام

" وإذا ما خلا الجبان بأرض "  
ظن وهماً بأنه الضرعام

هتك العرض غيلة وتعشى  
بدماء الأطفال جيش لهام

عندما تصبح الجيوش أداة  
للطواغيت تعبد الأصنام  
\*\*\*

شرف الحاكم الجبان دماء  
رضعوها من شعبه ووسام

وأنين معباً من تكالي  
ويتامى ، وأمة أغنام

والذي عنده تساق السبايا  
من رعاياه ، لا يفقه كلام

مجرم ! ربما ولكن لعمرى  
بعض أرقى صفاته الإجرام

والغ ! ربما وأحلى غذاه  
فخذ طفلاً ولوزتهاه إدام

خائن ! ربما .. لا .. لا تسلني  
أقدس الحرب عنده استسلام

ربح قرن حدوده فى أمان  
إنما ضد شعبه الإقدام

بطل ، سيد ، شجاع ، حصيف  
عبقري وقائد... وهمام

يخفق الأمهات خفق الفراشات...  
ويمضى وليزهق اللوام

بين أنيابيه نهود العذاري  
نازفات وفي يديه حسام

بطل يقتل المساجين في الأسر...  
ويمضى وما عليه ملام...

ذاك خصمي ويشهد الله أنني  
طال في ذلك الجبان الخصام

لم ينم حقي المقدس مهما  
قعد الناس دونه أو قاموا

\*\*\*

أرضعتني أمي حليب المعالي  
وعلى الصبر والثبات الفطام

وقضت نحبها تعد الليالي  
وتوالت بعدها الوعوام

كم تمر السنون ، والعين تبكي  
مقلعة الحب دمعها أكوام

حرق الله قلبه من ببالي  
ودهت ابنه الدواهي العرام

كلما أن في المنافي غريب  
أو بكيت أمه وحن الغلام  
ربع قرن أشتاق وجهك أمي

ثم تقضين ! هكذا والسلام

كان وعدي عليك أنزلك القبر...  
حناناً فاسـتـبـعدتني اللئـام

حرموني من هجعة القلب والسر...  
وهذا والله أمر حرام

سنة الظالمين منذ كان ظلم  
إن تولى أمر الرجال الطغام

تفسد الأرض والضمان والفكر  
جميعاً... وتقطع الأرحام

\*\*\*

ربع قرن اشتاق وجهك أمي  
وعلى الشوق كم يضح الغمام

مطر وابل يداعب وجهي  
مثلما داعب الربيع الحمام

أي حب هذا صبيت بقلبي  
أو هذا الذي يسمى الغرام

ياسمين ، قرنفل ، أم ورود  
أم رحيق معتق أم مدام

وجهك الطاهر النبيل أمامي  
وعليه الإجلال والإعظام

كم على الغربة الشقية صليت...  
صباحاً وأنت في الإمام

يا غطاء الصلاة يا ثوب أمي  
ليت أني غطاؤها والثام

ياحنان النسيم في ليل أمي  
ليت أني بليها الأنسام

كم على سطح بيتنا من ليال  
سكر الشعر عندها والكلام

قمر ساهر ييوح الحكايا  
فم أمي فتعذب الأنغام

كرمة تسهر النجوم لديها  
والعناقيد قلبها مستهام

وأنا ... قابع أعب حناناً  
وجملاً ودمع فوق المصلى وحرف  
شع تبرأ ، فأبدع الرسام

كيف " سوق الطويل" والناس عجلي  
وعلى العيد ضجة وزحام

"والشمندور" و "القطايف" و "الجبن"  
و "صحن البيريت" والعوام

فتة اللحم يا أصابع أمي  
طاب منها خروفها ... والنعام

كيف سوق النحاس والبدو والخيل...  
وسوق الخميس والحمام

وزقاق أبحته كل سري  
ذات ليل فأشرق الإظلام

"وأبو الليث " كيف حال أبي الليث  
وكيف الرايات والأعلام

درج العز والشموخ أماناً  
حيث حاراتنا ... وحيث السنام

كم سعدنا عليك نعدو ونغدو  
نحو بيت بناه قوم كرام

والى "القصر" لا يزال حيني  
حيث كان الرجال صلوا وصاموا

والى "القاعة" العريقة بالمجد...  
وسقف (البدود) ، كلي هيام  
قهوة زفت الزمان إلينا  
عريباً فأنشد ... الأقسام

"ما أحيلا لما وصلنا سحيراً"  
مالهجر بعائد ... إيلام

لم يزل طعمها بعمق لساني  
يستبيح الضنا ويشفي السقام

يا زمان "المنزول" والجمر عذب  
والحديث الذي عليه اضطرار

يا زمان الرجال والأمر حزم  
ومع الحزم ينتفي الإحجام

بلد يصنع الرجال وربى  
ذاك فن ، وسره الإسلام



ما حنت رأسها حماة ولكن  
زيجة المجد ... مهرها هدام

\*\*\*

هكذا أمي الأبيبة ربتني.....  
لها في العروق حق لزام

فأك العز يا حماة وكأس  
في المعالي ... وكلهم خدام  
ولنا الصبر يا حبيبة قلبي  
وعليه ... تستأصل الأورام

\*\*\*

أحماة أمي ! وأمي حماة !  
شهدت مصر في هواي وشام

اسمحي لي أمي فقد أذف الوقت....  
وعذراً إن لم يوف المقام

وعليك من الإله التحيات  
دواماً ومني إليك احترام

وإذا قيل يا حماة وداعاً  
بدموعي أجببت بل  
ياختام

